الأصالة والمعاصرة في خطاب الهوية

عند مولود قاسم نايت بلقاسم

الدكتورة/ نعيمة إدريس(*)

الملخص

إن الموجهات أو المنطلقات والمبادئ هي القاعدة الفلسفية لأي فكر يريد أن يضع لنفسه مكانا في المجتمع، ويهيكل الطموحات الحضارية في مشاريع ملموسة، منطلقة من أفكار يتم بواسطتها تجسيد البناء الحضاري المرتقب على أرض الواقع، من هنا نجد مولود قاسم نايت بلقاسم يحدد نوعين من هذه الموجهات للفكر والعمل.

أولا :من جهة السلب وهذا من أجل تفاديها وهي عوائق الأصالة، وموجهات أخرى من جهة الإيجاب هي مقومات الأصالة يجعلها أفكارا ومنطلقات يبني عليها أهدافه المتوخاة.

الموجهات من جهة السلب تتلخص في نبذ أمور والتخلي عنها تمهيدا لبناء حضاري يواكب الزمن والعصر هي عوائق الأصالة وتتمثل في:

- الجمود وما يقابله من (الهمود والخمود ...).
- الانفصالية.
- المركوبية.
- الثالوث الجهنمي: (النسخ، المسخ، الفسخ).

أما الموجهات الإيجابية فقد جعلها مفكرنا خلفية يؤسس من خلالها مقومات الأصالة التي هي الشرط لبناء الحضارة وجعلها في مقومين:

- الإنية (الهوية)

(*) المدرسة العليا للأساتذة قسنطينة.

□ الأصالة.

والمؤكد أنه توجد أفكار كثيرة مبتكرة من قبل مولود قاسم إلا أنه يشير بنفسه إلى مصادر فكره الإسلامية والغربية على حد سواء أهمها أفكار الفيلسوف ابن سينا والشيخ عبد الحميد ابن باديس وعثمان أمين فيلسوف الجوانية إلى جانب الفلاسفة الألمان وفي هذا البحث سنعالج إن شاء الله معضلة الهوية الجزائرية من منظور مفكر جد متميز الذي قال: «لقد كنا في العهد الاستعماري معلقين في الهواء بين عالمين، منزوعة عنا جنسيتنا الجزائرية، وغير معترف بنا، ولا معاملين كفرنسيين، ومع ذلك كنا أكثر ما نكون اعتزازا بذاتيتنا، وتعلقا بمقومات شخصيتنا، من دين ولغة وتقاليد، وبعدا عن كل ما ينال من قدسيتنا».

وعموما نقول إن مفهوم الأصالة والمعاصرة عند أستاذنا مولود قاسم يتسم بالمرونة والشمولية وبعد النظر بحيث ينتفي عنده ذلك الفصل الراديكالي التعسفي بين المفهومين فهو ينظر إلى العلاقة التي تربط بينهما كجدلية أساسية لا انفصام لها لأن الأصالة عنده تتضمن بحكم الحد والمضمون التفتح والعالمية والتطور والتقدم، هذا ما سنتطرق إليه تفصيلا إن شاء الله.

تمهيد

شهدت الساحة العربية توترات شديدة بين ثنائيات عديدة لمعنى واحد: التقليد والتجديد، المحافظة والتحديث، الجمود والتحرر، الرجعية والتقدمية، الأنا والآخر، الداخل والخارج، المحلي والعالمي، القديم والجديد، التراث والحداثة، ومنها الأصالة والمعاصرة والتي جدت منذ عصر النهضة، وتوجد الآن في المجتمع العربي مجموعة تدعو تصريحاً أو تلويحاً إلى تقليد الغرب جملة وتفصيلا، بهدف الخروج من وضعنا البائس، فبعضهم يفسر هذا الميل بالقانون الاجتماعي الذي ذكره ابن خلدون، القاضي بأن المغلوب مجبول على تقليد الغالب في كل شيء، فأمتنا العربية على الصعيد الثقافي لا تبدأ من العدم بل هي تستند إلى إرث ثقافي غني، وما يشغلها الآن هو كيف توازن بين هذا التراث وبين متطلبات العصر الذي نعيش فيه؟ هل تتمسك بالثقافة المتوارثة التي ألفتها أم تهجرها إلى ثقافة مستوردة؟

خطران يتهددانها لأنها إن تمسكت بالقديم مكتفية به عاشت خارج الزمان، وأن تلبست الجديد بلا روية عاشت خارج المكان. ومن أجل النهوض بالأمة العربية وجعلها تواكب العصر و إنقاذها مما تتخبط فيه، نجد من المفكرين العرب من يفكر في حاضر الأمة ومستقبلها

بواسطة ماضي الغرب وحاضره، ومن المفكرين من يفكر في حاضر الأمة العربية ومستقبلها بواسطة الماضي العربي الإسلامي، هؤلاء يعيشون المستقبل في التراث دون أن يكلفوا أنفسهم مشقة تجديد هذا المضمون، ولا حتى ربطه بالزمان والمكان[١]، في هذا الإطار تطرح إشكالية «الأصالة والمعاصرة» في الفكر العربي الحديث والمعاصر[٢]، والتي فكر بها مولود قاسم مليا في الإشكالية وأبدى رأيه وموقفه منها.

مولود قاسم نايت بلقاسم: مسيرة وفكر

الإطلاع على سيرة مولود قاسم (١٩٢٧-١٩٩٢) يظهر أنه مفكر موسوعي، أراد أن يلم بكثير من الاختصاصات، فهو يكتب ويحاضر بخمس لغات، فالثقافة الموسوعية تتجلى عنده في الجمع بين ما يبدو نوعا من التضاد، بين الفلسفة والفقه أي بين العقل والنقل، وكان أغلب تكوينه عصاميا إلا مجال الفلسفة الذي كان اختصاصه في الدراسة الجامعية، أما اهتمامه بالتاريخ مثلا أو بالفقه، أو باللغات، فقد كان من تلقاء نفسه، كما أنه استفاد استفادة كبيرة من مسيرته الدراسية، بدءا بثقافة الكُتاب والمدارس والزوايا، كما نهل العلم من كبار شيوخه في الجزائر وتونس والقاهرة، وبعد انتقاله إلى أوروبا استفاد من مناهج الدارسة العصرية، ومن الجدل الفكري، خاصة المدارس العقلية الألمانية ذات الاتجاه العقلاني، وتعمق في فلسفة فيخته، وكانط وغيرهما، وازداد تعلقه بما كتبه هؤلاء عن الأمة الألمانية، وأمجادها السالفة، فما عساه إلا أن يحذو حذوهم، ويقدم للجزائر ما قدموه لألمانيا، إضافة إلى كل هذا تشربه من فكر الحضارة الإسلامية، وهذا واضح في أفكاره، مثل فكرة الصحوة لجمال الدين الأفغاني، والإنية لابن سينا، وفكرة المركوبية لمالك بن نبي.

مصادر فكره:

ابن سينا: في معرض حديثه عن الإنية يؤكد مولود قاسم أن هذا المصطلح هو الأساس في الكوجيتو الديكارتي. يقول: «وهذا التصور لابن سينا هو الذي كان الأصل في ذلك الكوجيتو

(١) محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، دراسات... ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩١، ط١، ص ١٠٣

(٢) المرجع نفسه، ص ١٠٣-١٠٤.

الديكارتي المعروف، الذي يقول أنا أفكر، فأنا إذا موجود[١]. و يذكر في موضع آخر مؤكدا هذا الرأي فيقول: «هذه الكلمة «الإنية» هذه الكلمة ليست من إبداعنا، فهي لذلك القطب في تاريخ الحضارة الإنسانية العالمية، وهو أبو علي بن سينا، فابن سينا هو الذي نحت هذه الكلمة، ما معنى الإنية؟ من «إني» وهي موجودة ومفصلة ومشروحة في كتابه المشهور «الإشارات والتنبيهات»[٢].

هذا يوحي لنا أن مولود قاسم تشرب من فكر الحضارة الإسلامية، وهذا واضح في أفكاره التي لايفتأ ينسبها لأصحابها، مثلما فعل مع ابن سينا، إنه متشبع فعلا بأفكار الحضارة الإسلامية، التي يشيد بها و يذكر أن الفلاسفة المسلمين كانوا السباقين للعديد من المفاهيم الفلسفية، التي تنسبها إلى بعض الأعلام الغربيين، لكن مولود قاسم يفند هذا الأمر بقوله: «لقد تكلم الغزالي عن الزمان والمكان في إحياء علوم الدين، بقرون قبل كانط، و إن ليس بذلك التوسع والتفصيل، وانية ابن سينا نجد لها صدىً لدى كل من ديكارت وفيخته، وعندما تقرأ بعض تعابير ديكارت وكانط عن حرية الاختيار تظن أنك تسمع لواصل ابن عطاء، أو أبا الهذيل العلاف.[٣]

أثر الألمان:

إن أثر الفلاسفة الألمان على أفكار مولود قاسم من أمثال فيخته عندما يستشهد به عن القومية واللغة، وحتى عندما يتحدث مولود قاسم عن موسيقي بيتهوفن، فإنه كان ينظر إلى الجزائر في عهده كألمانيا في عهد بيتهوفن وفيخته، لم تتوحد لأن الوحدة الحقيقية هي وحدة اللسان والفكر والتصور، لينتج عن ذلك التضامن والثقة والأخوة، فكان مولود يتطلع في عصره هذا إلى اليوم الذين يتحررون فيه من ربقة الفرنكوفونية والمرجعية الفرنسية في كل شيء[٤].

---

(١) مولود قاسم نايت بلقاسم: إنية وأصالة، شركة دار الأمة للنشر والتوزيع، برج الكيفان، الجزائر، ٢٠٠٧، ط٢، ص ١٠٧.

(٢) مولود قاسم نايت بلقاسم، «مغزى ملتقيات الفكر الإسلامي» مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية
الجزائر، السنة الخامسة، عدد ٤٥ ماي ١٩٧٥، ص ٣.

(٣) مولود قاسم نايت بلقاسم: إنية وأصالة، مصدر سابق، ص ٨٤.

(٤) محمد الصالح الصديق: عن «مولود قاسم نايت بلقاسم رمز كفاح أمة»، جمع، أحمد بن نعمان، ، ص ٢٦٥.

تأثر مولود قاسم بالألمان جعله يورد أفكار فيخته عن اللغة والقومية دون الرد عليها، ويظهر ذلك جليا بالأمثلة التي يضربها[١]. كذلك اهتم بالتاريخ رغم دراسته للفلسفة، لأنه يرى أنه بالتاريخ نكتشف ذواتنا، وكان اهتمامه هذا بالتاريخ من قبيل اهتمامه بالقومية الألمانية التي يبدو أنه تأثر بأعلامها، وهذا التأثر قد جعله يبحث في التاريخ كما بحثوا، ويرجع فيه إلى الأصول كما فعلوا [٢]. وهنا يضرب مولود قاسم مثالا على المكانة التي يكنها الألمان لتاريخهم فيقول على لسان شوبنهور، إن التاريخ ذاكرة الأمم فهو لها بمثابة العقل للأفكار كما يقول الفيلسوف الألماني شوبنهور التاريخ يحب كالإنجيل، ويلقن للصغار، ويدرس للكبار بنفس التقديس والإجلال[٣]، هنا وكأن مولود قاسم يقول أن تاريخ الجزائر يجب أن يحب حبًّا كالقرآن، ويلقن للصغار، ويدرس للكبار، بنفس التقديس والإجلال.

هذه الحساسية التاريخية انعكست وتجلت أيضا على الحساسية القومية واللغوية، فرغم أنه كان عميق التأثر بالفكر القومي الألماني القائم على اللغة في المقام الأول، فإن مولود قاسم يربط بين اللغة والدين في الجزائر[٤].

كذلك كثيرا يستشهد مولود قاسم بقول الألماني فيخته عن اللغة بعدما يعرض رأيه، حيث يقول في هذا الصدد «إن اللغة ليست شكلا أو أداة بل هي محتوى أيضا تصاغ فيه أفكارنا وأحاسيسنا في هذا القول أراد مولود قاسم أن يرد على من قالوا إن اللغة ليست إلا شكلا وأن المحتوى هو الأهم، ولذا طالبوا بأن نستمر في تدريس العلوم باللغات الأجنبية، ثم يستشهد بقول فيختة عن اللغة إذ قال: «إنها القوة الطبيعية لأمة من الأمم» بعد ذلك يستطرد مولود في حديثه ويرد على من يزعمون أن العربية ليست قادرة على التعبير عن العلوم الحديثة. إن خطاب الفيلسوف الألماني خطاب مفعم بحب الدين وحب اللغة وحب الوطن، فيخته ضل يبحث عن حب الدين في المسيحية الذي افتقده في شعبه، حتى أنه اتهم بالإلحاد.[٥]

(١) مولود قاسم نايت بلقاسم، أصالية أم انفصالية؟ ج٢، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٩١ م، ط ١، ص ٣٦٧.

(٢) محمد الصالح الصديق:عن «مولود قاسم نايت بلقاسم رمز كفاح أمة، جمع، أحمد بن نعمان، ص ٢٦٦.

(٣) مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل ١٨٣٠، مصدر سابق، ص ٣٦٥.

(٤) نفس المصدر: ص ٢٦٧.

(٥) الأخضر شريط :إشكالية الخطاب بين الفيلسوف الألماني فخته ومولود قسم نايت بلقاسم، جامعة الأمير عبد القادر ٢٠٠٧، ص١٣٨.

ومن هنا يتضح أن عنصر الدين هو عنصر أساسي في تكوين الشخصية، وهذه نظرة مشتركة بين فيخته ومولود قاسم، وطبعا بأسبقية الألماني.

يقول مولود قاسم: «إن اللغة الأصلية في نظر (فيخته) هي «رمز وجود الأمة، وبقدر أصالة اللغة والمحافظة على اللغة الأصلية، أو فقدانها تكون المجموعة البشرية أمة وشعبا أصيلا، أو مجرد أشتات وحسب».[١]

جمال الدين الأفغاني

في محاضرة ألقاها مولود قاسم حول جمال الدين الأفغاني في الملتقى الثالث -والعشرين للفكر الإسلامي المنعقد بـ «تبسة 03 20 6303»م كانت مقدمة مولود قاسم حول مناقب الأفغاني، عارضا آراء تمجده وتضعه في مصاف الكبار، نظرا لما قدمه من أفكار جديرة بالاهتمام، بعد ذلك يورد مولود قاسم أقوالا وشهادات تثبت مكانة الرجل لدى من عاصروه، وتتلمذوا على يده، وتشربوا من فكره (ويذكر قول رينان عندما جادله الأفغاني في السربون، حيث -قال فيه رينان: «كنت أتمثل أمامي عندما كنت أخاطبه، ابن سينا أو ابن رشد، أو واحدا من أساطين الحكمة الشرقيين»[٢].

وبعد ذلك يستشهد بقول تلميذه محمد عبده حين قال: «إنه قوة روحية وحقيقة كلية، وانه -بالجملة فلو قلنا: إن ما أوتيه من الذكاء هو أقصى ما قدر لغير الأنبياء[٣]. تلميذه الآخر شكيب أرسلان فيقول عنه: «فيلسوف الإسلام، وعلم الأعلام وكوكب الإصلاح، الذي أطلعه الله في أفق المشرق، بعد أن اشتد به الظلام، حجة الشرق الناهضة، وآية الحق الباهرة[٤].

إذا مولود قاسم بعد أن أشاد بالأفغاني وبأهميته يشرح مشروعه الإصلاحي الذي جاء به إلى الأمة الإسلامية، ولا شك أنه كان محل إعجاب من طرف مولود قاسم والا لما أفرد محاضرة كاملة في ذلك الملتقى، وفي معرض حديثه يقول: «و الطبيب الماهر المشخص هنا هو جمال الدين الأفغاني والمعالج أيضا هو نفسه جمال الدين، فيشخص لنا قائمة طويلة من الأمراض

(١) المرجع نفسه، ص ١٣٥.
(٢) أحمد بن نعمان، مولود قاسم نايت بلقاسم رمز كفاح أمة، ص١٠٦-١٠٧.
(٣) المرجع نفسه، ص١٠٧.
(٤) المرجع نفسه، ص١٠٨.

في الأمة الإسلامية، ويقدم الوصفة الطبية من الأدوية الناجحة للأدواء الموجعة، وفي آخرها يعرض على هذه الأمة مشروعا متكاملا لمجتمعها الحديث على أساس أصولها وفصولها، أو الثوابت كما نقول الآن[١]

مولود قاسم ولتأثره بهذه الشخصية يقول أنه من أراد الاستقصاء (عن الأفغاني) الرجوع إلى كتبه أو من كتبوا عنه، ثم يذكر بعض الأمراض التي شخصها، مثل مُجانبةُ تعاليم الدين، افتراق الكلمة، الرضوخ والإذعان للأجنبي، وغيرها من الأمراض، وبعد ذلك يستطرد مولود قاسم في دارسة وعرض وشرح المشروع الذي أتى به الأفغاني بإسهاب، ويتبنى الأفكار التي أتى بها الأفغاني، وفي نفس الوقت يحذر مما حذر منه الأفغاني [٢]، وهذا دليل على أن مولود قاسم متأثر بفكر الأفغاني ونشير إلى أن أهم فكرة أخذها مولود قاسم من فكر الأفغاني، هي «**الصحوة**»، والتي كانت هي الفكرة الرئيسية عند انعقاد الملتقى الثامن عشر للفكر الإسلامي التي يقول بشأنها: كان نداء جمال الدين الأفغاني بدءًا لصحوة حقيقية فعالة، في مجموع العالم الإسلامي، تحرر بفعلها تباعا أغلب أجزائه، ومنها بلدان المغرب الإسلامي[٣].

تلك كانت الصحوة التي أدت بالعالم الإسلامي في أغلب أجزائه إلى استرجاع استقلاله وحريته، فمولود لا يخفي تأثره بهذه الفكرة، فيقول عن الصحوة وتحدياتها: « الأخطار التي تهدد الصحوة أو بداية الصحوة، لأننا معشر المسلمين لم نصح بعد، أو أننا قد صحونا بصيحة جمال الدين الأفغاني ثم غفونا.

ابن باديس: إضافة إلى الأفغاني، كثيرا ما يورد مولود قاسم آراء عبد الحميد بن باديس حول قضايا عدة مثل المرأة والتعليم والتربية وأساليب الدعوة[٤].

عند انعقاد المؤتمر الرابع للفكر الإسلامي أوت ١٩٧٠م بقسنطينة كانت الكلمة الافتتاحية لمولود قاسم، فذكر فيها محاور اعتبره هاما سيكون محل الدراسة وهو«المرأة» وأخذًا

(١) مولود قاسم نايت بلقاسم :عن مولود قاسم رمز كفاح أمة، جمع أحمد بن نعمان، ص ١٠٩.

(٢) انظر:مولود قاسم نايت بلقاسم، » مشروع المجتمع الإسلامي الجديد»، عن» مولود قاسم نايت رمز كفاح أمة، جمع أحمد بن نعمان، ص١١٧.

(٣) مولود قاسم جريدة الشعب، ٣٠-٠٨-١٩٨٤، جمع أحمد بن نعمان ص١١٩

(٤) انظر: مولود قاسم نايت بلقاسم، «محاضرات الملتقى الرابع في الفكر الإسلامي» قسنطينة، الجزائر، أوت ١٩٧٠ م، ص١٥-١٧.

برأي ابن باديس يقول: «...لسنا من أنصار بسمارك (١٨١٥ م ١٨٩٨ م) الذي حدد للمرأة الألمانية ثلاث واجبات «kinder. Kueche. Kirche الأطفال، المطبخ، الكنيسة» أو الكافات الثلاث، بل نحن من أنصار ابن باديس الذي كان يلح كل الإلحاح على ضرورة تعليم البنت، وإشراكها في حياة الأمة[١].

يمجد مولود المرأة من خلال فكر بن باديس أما بالنسبة للتاريخ فلا شك أن دراسة مولود قاسم له كانت نابعة من المكانة التي يحتلها التاريخ عند ابن باديس، ففي نهاية كتابه «شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل ١٨٣٠ختم كتابه بقول ابن باديس عن التاريخ فيقول نقلا عنه: «والنِّسبةُ للوطن توجب علم تاريخه؛ والقيام بواجباته من نهضة علمية، واقتصادية، وعمرانية، والمحافظة على شرف اسمه، وسمعة بنيه»[٢].

وربما كان عمل مولود قاسم في تأليف هذا الكتاب بجزأيه هو نسبته للجزائر التي أوجبت عليه علم تاريخها، ففعل. ويردف قول ابن باديس بقوله: «ونود فقط أن نربط عجلتنا بدبابة ابن باديس»[٣].

عثمان أمين

بمناسبة انعقاد المؤتمر الثاني عشر للفكر الإسلامي بـ«باتنة» ألقى مولود قاسم محاضرة بعنوان «مات عثمان أمين فيلسوف الجوانية ومفند الخواجات» تطرق فيها إلى مناقب أستاذه، وفضله عليه، ثم يشيد بدور عثمان أمين في إبراز أثر الفلاسفة المسلمين وكذلك الحث على اللغة العربية [٤] فيشيد مولود قاسم بأستاذه عندما يأخذ على كثير من الشخصيات في مصر والعالم العربي تقليدهم الأعمى لسلبيات الحضارة الغربية الحديثة، وتبعيتهم لها، يقول عنه: «وتسود سائر مؤلفاته العديد ة من روح الوعي، ورغبة التوعية روح «الجوانية» كما كان يسميها.[٥]

---

(١) مولود قاسم نايت بلقاسم: إنية وأصالة، ص ١٠٧ .

(٢) مولود قاسم :شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية ..ج٢، ص٣٦٥.

(٣) نفس المصدر، ص ٣٦٦.

(٤) نظر مولود قاسم نايت بلقاسم، «مات عثمان أمين فيلسوف الجوانية ومفند الخواجات» مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، عدد ١١ - ١١ سبتمبر ١٩٠٨ م، ص٢-٤ .

(٥) نفس المصدر، ص٥.

يحاول مولود قاسم أن يربط بين فكرته «الإنية» وجوانية عثمان أمين فيقول: «هذه الجوانية التي يمكن أن تلخص في الإنية أو المطابقة التامة لجذور الأنا والمحافظة على جميع عناصر الذاتية، والمتمسكة بسائر مكونات الشخصية[١].

من خلال هذا القول نلاحظ أن مولود قاسم يطابق بين جوانية عثمان أمين والإنية التي دعا إليها، فجوانية عثمان أمين مستوحاة من الدين الإسلامي، الذي هو المشرب الأساسي الذي كيفها عليه، وكذلك الأمر بالنسبة للإنية، فهي تهدف في جوهرها إلى عدم التفريط في أي جزءٍ من الأجزاء المكونة للشخصية، وبطبيعة الحال الدين مكون رئيسي للإنية التي دعا مولود قاسم إلى التمسك بها.

يواصل مولود قاسم في موضع آخر «واننا لندين لأستاذنا الكبير باهتمامنا بمفهوم الإنية، بمبناها ومعناها، وهي الواردة في الإشارات والتنبيهات «لأبي علي بن سينا»[٢].

مالك بن نبي

عند افتتاح الملتقى الفكري عن مدينة بجاية (بجاية وتأسيس الدولة الموحدية) أفريل ١٩٨٧م ألقى مولود قاسم محاضرة عن تاريخ بجاية وفضلها في المجال العلمي على أوروبا في شتّى العلوم، ولكن هناك من يقزّمون تاريخنا، ويقولون أننا لم نكن شيئا، وهذا استصغار للذات لا يريده مولود قاسم، لأن أصحاب هذا الموقف يرون أن العهد الفرنسي هو الضوء، لأنهم يأخذون عن الغرب، وذلك لأنهم يمجدونه، ثم يمسحون العهود من تاريخنا! عجيب وغريب[٣] هكذا ينكر مولود على الذين ينكرون تاريخهم ويستصغرون أنفسهم، وما ذلك إلاّ أنهم أخذوا هذه النظرة عن غيرهم لأنهم وبكل بساطة احتكموا إلى الغرب فيما يخص شخصيتهم وتاريخهم.

---

(١) نفس المصدر، ص٦.

(٢) نفس المصدر، ص٦.

(٣) انظر مولود قاسم نايت بلقاسم، «الجزائر عظيمة، مجيدة وكفاكم قزمية ومركوبية يا مخربشون!»مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، السنة١٧، عدد٩٩، ١٩٨٧، ص١٧-٢٨.

يقول مولود قاسم: «وهذه القابلية للاستعمار سميتها المركوبية، وكذلك المحكدية[١] وآخرون يقولون القزمية، ومالك بن نبي له صيغة لهذا المفهوم وهي «القابلية للاستعمار» La colonisabilité إذ قال مالك بن نبي: «إذا كانت فرنسا قد غزتنا واستدمرتنا فلأننا كنا متقبلين، كنا مستعدين، كانت لدينا قابلية لأن نستدمر، ليس القبول فقط، بل القابلية أيضا، فرحانين، سعداء»[٢].

وكان مولود قاسم قد ناقشه في ذلك مناقشة عنيفة على حسب تعبيره، ولكنه تراجع عن موقفه فقال: «ولكن ينبغي أن أقول الآن وقد توفي، أنني اعترفت له قبل أن يتوفى بخطئي وقلت له: أنت الذي صدقت ففي مناقشتي لك سنة ١٩٥٤م أنا الذي أخطأت. فعلاً، كانت لدينا قابلية لأن نستدمر، ولا تزال موجودة إلى اليوم.[٣] وبعد ذلك يواصل مولود قاسم اعترافه بنسبة الفكرة إلى صاحبها فيقول: «هذه هي المحدكية هي التي سماها مالك بن نبي «القابلية للاستدمار» وأنا سميتها المركوبية! لماذا هذا؟ قالها الأستاذ لأنه كان يتصور أننا لا نزال، وفعلا بعضنا لا يزال بهذه التصورات».[٤]

هذا بالنسبة لمصادر تفكير مولود قاسم ومنها نحاول التعرف على موقفه من إشكالية الأصالة والمعاصرة التي هي صلب مشكلة الهوية.

عوائق الأصالة: يحصر لنا مولود قاسم عوائق الأصالة في:

الجمود: أول ما تصدى له مولود قاسم من هذه العوائق هو الجمود، والذي يسميه بعدة مسميات منها الركود، الخمود، التخلف، التقليد، التقوقع... فالجمود عنده هو السكون، والسكون يعني التوقف، والتوقف يعني التأخر عن الركب، وبعد ذلك تأتي التبعية وهي عنده تعني الموت الحضاري. لذا ينبغي رفض الجمود ومحاربته، لبعث حياة التقدم والعمل لضمان البقاء

(١) أساء عبد محكده: أي أساء إلى أصله، ومنها اشتق مولود اسم اسم المذهب «المحكدية» أي أهان نفسه، وأزل ذاته ابن منظور لسان العرب المجلد ٢، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ١، ٢٠٠٥، ص٥٥١.

(٢) نفس المصدر، ص٢٦.

(٣) مولود قاسم نايت بلقاسم، «الجزائر عظيمة، مجيدة وكفاكم قزمية ومركوبية يا مخربشون!» مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، السنة١٧، عدد٩٩، ١٩٨٧، ص٢٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٧.

الحضاري[١]، فرفض الجمود هو أول خطوة ولبنة في طريق التحرك، يقول مولود قاسم في هذا الصدد: «إن لكل حضارة أسسها ومبادئها، وعهود نموها وارتقائها...ثم جمودها وربما انهيارها، بحسب حرصها على تلك المباد والأسس وتمسكها بها، أو التهاون فيها، والتخلي عنها؟[٢]

فالبقاء الحضاري عنده مرهون بمدى ابتعاد الجمود عن حياة الأمة، بل يجب التحرك نحو الأمام، وعدم الركون إلى السكون والتوقف والكسل إذ يقول: «إن التقدم الحق بالعلم يا سادة، لا بالترنح والوسادة. إنما بالقيم تكون للأمم قيمة»[٣]. من خلال هذا القول يتضح أن العلم لا يأتي بواسطة الجمود الذي عبر عنه بالترنح بالوسادة، فمسألة الرقي والسيادة مرهونة بمدى اجتهاد الأمة في قتل الجمود، ولذلك شرع الإسلام الاجتهاد لمواجهة الواقع المتجدد، يقول مولود قاسم، فلن ينقذ عالم الإسلام إلا الرجوع إلى إسلامه، ولن تكون نهضته باستسلامه ...فقيمه تكفي بل وزيادة، لتدارك الفائت بل وللريادة، إذا فالجمود مضاد لتعاليم الإسلام، وهذا الأخير بريء من وضع المسلمين منذ ما يقارب ستة قرون.

يقول مولود قاسم: «إن الإسلام دين النظر والرؤية والفكر، وأن الآيات التي تدعو إلى استخدام العقل تتجاوز الخمسين»[٤]، وتأكيدا لهذا الرأي نجده يقول في موضع آخر: كان الإسلام ثورة على الجمود والركود، وعلى التقليد والتبعية العمياء، ومن كلامه هذا يتضح جليا أن محاربة الجمود هو أول الطرق في محاربة عوائق الأصالة، ثم الدعوة إلى النهضة الحضارية الإسلامية الحديثة.

إذن فالجمود هو العائق الأول أمام مشروع النهضة الحضارية للعالم الإسلامي، والمسؤولية ملقاة على عاتق علمائه وأئمته الذين هم عامل النهضة والاستيقاظ، إذا ما أماطوا على أنفسهم هذا الجمود أولا، وكذلك هم المتسببون في الفناء إذا ما تمادوا في الركود.[٥] بهذا يكون الجمود أول الأمراض التي تعاني منها الأمة، وبالتالي فهو عامل هدم سلبي في قيام الحضارة الإسلامية،

(١) بوعلام جوهري، البعد الدعوي في أعمال مولود قاسم نايت بلقاسم، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين جامعة الأمير عبد القادر ٢٠٠١، ، ص٥٦.

(٢) مولود قاسم نايت بلقاسم: إنية وأصالة، مصدر سابق، ص ٢١٠.

(٣) مولود قاسم نايت بلقاسم: أصالية أم انفصالية، ص ج٢، ص ٢١.

(٤) إنية وأصالة: ص٢١٢.

(٥) بوعلام جوهري، البعد الدعوي في أعمال مولود قاسم نايت بلقاسم، مرجع سابق، ص ٧١.

لذلك يجب تخليص الأمة من خيوطه، وفي بادل الأمر تخليك علمائها وأئمتها منه، وكل هذا يدخل في تشخيص داء الأمة، والبحث عن أسباب النكسة التي يعيشها المسلمون في هذا الزمان.

الانفصالية: وتعتبر العائق الثاني من عوائق الأصالة، وهي عامل هدم سلبي يحول دون بناء الحضارة الإسلامية. تأتي الانفصالية في مقابل ظاهرة الجمود في التعامل مع الدين والتراث، و يحاول هذا الجانب الانعتاق من كل ما يربطه بماضي الأمة، فهذه الفئة فاقدة للأمل فيما تحمله الأمة من تراث ودين، وتبحث في نفس الوقت عن بديل له، ولا تراه مناسبا إلا من خلال الانفصال عن هذه الذات الحضارية والتشبه بالغير في كل مجالات الحياة، فتنفصل عن الدين والتاريخ والعادات والتقاليد، وكل ما له صلة بالأجداد وهؤلاء هم دعاة العصرانية أو الحداثة، أو الرقي والتقدم في بعض الأحيان[١].

الانفصالية عند مولود قاسم تعني الاستسلام والرضوخ للغير، وهي نوع من الموت ونابعة من السذاجة والجهل، لذلك نجده يصف الانفصاليين وصفا، فيقول فيهم: «كم ممن هو من الغربة الروحية ثاوٍ، ونصيبه من فكر أهله ناقص ذاوٍ، ولكل أصيل أصلي لديه شاوٍ، ولتراث وقيم أهله كاوٍ... وبما لقنوه من عقدٍ ضدها عاوٍ. فلن ينقذ عالم الإسلام إلا الرجوع إلى إسلامه[٢].

ومن قراءة مداخلات مولود قاسم نايت بلقاسم أثناء انعقاد مؤتمرات الفكر الإسلامي، التي كان يشرف عليها بنفسه، نستشف أنه عمل جهده على محاربة هذه الظاهرة التي تمس أصالة الأمة وانتماءها الحضاري، حيث أن تمسك الأمة بأصالتها أو انفصالها هو أمر مهم في حياة الأمة أو موتها فيقول في هذا الأمر «فالأمم إذن بشخصيتها، وبأصالتها، وبأصاليتها التي هي ضمان هذه الأصالة، إن الأمم بالوعي بذاتها، والشعور بنفسها، والاعتزاز بقيمها، والتمسك بما يميزها عن غيرها، مع الاستفادة من تجارب الغير، تلك هي أصالة الأمم، التي تمثل في الوقت نفسه أثرها وثراءها، و إسهامها في المجهود الحضاري والفكري البشري المشترك، وكل ما عدا ذلك فهو انفصالية»[٣].

---

(١) المرجع نفسه، ص ٧٤

(٢) مولود قاسم نايت بلقاسم: أصالية أم انفصالية، ج٢، ٢٢.

(٣) مولود قاسم: أصالية أم انفصالية، ج٢، ص ٧١.

من هذا القول نستشف أن الانفصالية هي فقدان الشخصية بكل أبعادها (الدينية، التاريخية، اللغوية) وكذلك هي ضياع الاعتزاز بالنفس ورصيد الأجداد، ومقابل هذا البحث عن الخلاص بالإنعتاق والتخلص من مضمون الأمس بكل ما فيه (دين، تاريخ، لغة، انتماء، عادات، تقاليد، ثقافة) وهذا الانفصال يفيد الترك، وذلك تحت أغطية كثيرة تدخل في كون المغلوب مولع بتقليد الغالب. وفي ذلك يقول مولود قاسم : «والفريق الآخر يلحون علينا باسم التقدمية والثورية والتطور والتمدن وسعة الأفق، والتفتح والعالمية، داعين إيانا إلى عدم الاكتفاء بفتح النوافذ واسعة، والأبواب على مصارعها، بل يصمون آذاننا بالمناداة بضرورة نزع السقوف أيضًا، وهم المغامرون السطحيون الممسوخون»[١].

إضافة إلى ترك أصالتهم، (دعاة العصرانية) لن يصلوا بهذا الفكر إلى تألق، لأنهم يعمقون الهوة بين نفسية مجتمعاتهم والحياة المادية الملموسة التي يدعونهم إليها، ويدخلون في صراع بين القيم المتوارثة وبين الأفكار والسلوكيات الانفصالية الدخيلة عليهم. والأمر سيان بالنسبة لفريق الجمود أو العصرانيين، فالأول مقلد لنسخة لم يطورها، والثاني مقلد لنسخة حاضرة، ولم يخترع أو يبدع شيئا، فجعل النفس نسخة من الغير أمر مستحيل قلبا ومضمونا وأن تيسر ذلك قالبا وظاهرا[٢].

مولود قاسم من خلال قوله الآتي يرفض الفريقين معا فيقول: «فالعصرانية ليست أبدا بالمروق، والاستنارة ليست بالحروق، ولا القمة باجتثاث العروق... وكما أن التراث والماضي ليسا بالجمود.[٣]، هذا لأن الانفصالية في أول مظاهرها هي الابتعاد عن الخلق العام والقيم والمبادئ المتوارثة، لذلك يعبر عنها بالمروق واجتثاث العروق، فتذهب القيم والمبادئ التي بها تبنى المجتمعات، وتصمد أمام الأزمان والتي تحفظ حضارة الأمة مهما تغيرت الأوضاع، ويصبحون لا همَّ لهم سوى المعيشة الحسنة مظهرا، في الثقافة، أو في الاجتماع، أو في الاقتصاد، رافضين معيشة الشرف، قابلين بالمذلة الثقافية والحضارية، مستسلمين، لا ينتجون بل يستهلكون ثقافات غيرهم. يقول عنهم مولود قاسم: «إن الأمم بأصلها وأصالتها، وانه لا ينكر أصله وأصالته إلا من لا أصل له ولا أصالة»[٤].

---

(١) مولود قاسم: إنية وأصالة، مصدر سابق، ص٥٤٥.

(٢) بوعلام جوهري، المرجع السابق، ص ٧٦.

(٣) مولود قاسم نايت بلقاسم: أصالية أم انفصالية؟ ج٢، مصدر سابق ص ٧٠

(٤) مولود قاسم :إنية وأصالة، ص ١٤.

ويعبر عن وضع الأمة الغارقة في الانفصال والتبعية فيقول: «فلا هي أنجزت هذه التنمية، ولا حفظت لشخصيتها عدا التسمية، فإذا بها في الخسران مثل تركية إنها بزائف الرقي هي الحالمة، ولأصالتها هي الثالمة، ولإنيتها هي الكالمة...فأمست في قبح التقليد غرابا.[١]

مولود قاسم في كثير من كتاباته ينبذ الانفصالية لما لها من أثر سلبي على حياة الفرد والجماعة، ويمجد الأصالية التي بواسطتها نقف بأقدام ثابتة على أديمنا الراسخ، لنرنو مطمئنين، واثقين بأنفسنا، يقول مولود قاسم:

«إن تلك الأوصال التي تربطك بالأسلاف هي مكونات الشخصية وعناصرها الذاتية، وهي الإنية والأصالة، والدعوة إلى الحفاظ عليها، والتمسك بها والسهر عليها والتحمس لها، والعمل دوما لتعزيزها، ولغرسها ولتغذيتها والتضحية من أجلها له هي الأصالة! واللامبالاة بها والتهاون فيها وضرب الصفح عنها وعدم رعايتها والبصاق عليها فضلا عن السعي لإغفالها، والعمل على محوها لهو ما نسميه بالانفصالية ...وما سميناه بالأصالية فهي اللغة والدين والتاريخ وحب الوطن والثقافة المتأصلة والتقاليد وذكريات الأجداد»[٢].

بعض الأمثلة على الانفصالية التي أوردها مولود قاسم في كتاباته:

انفصالية المرأة: تحدث مولود قاسم عن انفصالية المرأة، في لباسها وسلوكها حيث قال: «ألم يخرج قطيع من أمثال تلك المخيخات الهزيلة في مظاهرة في العاصمة الفرنسية، بعنوان: «رابطة النساء العربيات في باريس وهن يصرخن: ارتعد أيها الإسلام. مطالبات بتحرير المرأة»، في منشور وزعنه هناك، أصالية أم انفصالية؟[٣]

الانفصالية عن الدين: حيث يقول في هذا الصدد تمجد أوروبا حتى الصحف، والشخصيات السياسية منها، اهتمام اسرائيل بالدين، وتلومنا على ذلك. لم تهلل أوروبا لتمسك بولونيا بالدين مشيدة إلى تدين الشعب البولوني ويسرعون إلى وصم المسلمين بالتعصب والرجوع إلى القرون الوسطى، وغيرها من الشعارات التي يعتقد بها مع الأسف الكثير من أشباه المسلمين[٤]

---

(١) أصالية أم انفصالية، ج٢، ص١٢

(٢) نفس المصدر، ص ٦٥-٦٦.

(٣) نفس المصدر، ص ٦١.

(٤) نفس المصدر، ص ٦١.

الانفصالية في التاريخ: كتب مولود قاسم في مقدمة كتابه، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة ١٩٦٢ كلاما يوحي إلى انفصال شعبه عن بعض تاريخه فيقول: « كنت نويت أن أعنون مقدمة هذه الدراسة: **فصل المقال وحد النصال فيما بيننا وتاريخنا من الاتصال أو الانفصال**[١].

وفي موضع آخر ردًا على الذين يريدون تجزئة التاريخ وحذف بعض الفقرات منه لأسباب يراها أصحابها، يقول: «إذا بدأنا هكذا نجزل تاريخنا، فبعضنا يقول باسم الإسلام أن الفترة النوميدية هذه جاهلية، إذا لا نعترف بها، وبعدها الفترة الإسلامية بمختلف عهودها، بما فيها العهد العثماني، فتأتي جماعة فتقول: هذه الفترة لا نعترف بها لأنها غزو أو سيطرة واحتلال[٢].

من خلال قول مولود قاسم الآنف، نلاحظ أن مولود قاسم حريص على وحدة التاريخ، ولا يقبل بحذف أي جزء منه، لأن المساس بالتاريخ يعني المساس بأحد مقومات الأصالية.

انفصالية في بعض السلوكيات: هناك سلوكيات خارجة عن العادات والتقاليد وتعاليم الدين، هي صميم الانفصالية ومظهرها الجلي استنكرها مولود قاسم، وعلى سبيل الذكر ما كتبه: «أما الآن فإني سمعت أن الخمر كثيرا ما تشرب على حواشي الكثير من القرى»[٣].

بهذا تأتي الانفصالية هي العائق الثاني أمام مشروع النهضة الحضارية، وكان الجمود مسبقا على الانفصالية لكونه السبب في ميلاد هذا التيار الساعي إلى إيجاد الحل الذي لم يتمكن منه التيار الأول، وهذا التيار نابع حقا عن واقع يعكس جمودا في فهم الدين وتعاليمه ومبادئه وقيمه، أو بالإمكان أن نطبق الحكم على التيارين معا.

المركوبية: يأتي ما يسميه مولود قاسم بالمركوبية عائق من عوائق الأصالة يجب أن تستأصل من نفوس المسلمين، وقد شرح هذه الظاهرة من خلال كتاباته، وتطرق إليها كلما اقتضت الضرورة أن يتكلم عنها المركوبية مصطلح مقابل لفكرة القابلية للاستعمار التي قال بها مالك بن نبي، الذي وجد رغبة نفسية لدى الشعوب المستعمرة للانقياد وراء الأجنبي

---

(١) مولود قاسم: شخصية الجزائر وهيبتها العالمية قبل ١٨٣٠، ص ٩.

(٢) مولود قاسم: الجزائر عظيمة مجيدة وكفاكم قزمية ومركوبية يا مخربشون، مجلة الثقافة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، عدد ٩٩، ١٩٨٧، ص ٢٤.

(٣) أصالية أم انفصالية: ج ١، ص ٩٢.

الغالب، واستعداد للتبعية بكل أنواعها وقد تكلم مولود قاسم عن فكرة المركوبية ومطابقتها لفكرة القابلية للاستعمار عند مالك بن نبي كما سبقت الإشارة.

فقال: «هذا المرض هو الذي سماه المرحوم مالك بن نبي (القابلية للاستعمار)أي الاستدمار»، وهذا المرض: القابلية سميته في خربشاتي: «المركوبية» أي تعالوا لتركبونا، لتحتلونا لتهينونا[١]، إن استعمال مولود قاسم لمصطلح المركوبية مقصود، حيث رأى أن القابلية للاستعمار لا تثير في النفس ما تثيره كلمة المركوبية من مس بالشرف، والكرامة مباشرة، ثم يستأنف شارحا لهذا المعنى أكثر فيقول: «هذه دعوة من المسلمين للدول الأوروبية إلى السيادة علينا، وهو ما سماه مالك بن نبي القابلية للاستعمار (وأنا أقول الاستدمار) وسميته أنا المركوبية، أي تعالوا يا ناس لتركبونا، كالتبعية للمؤرخين، والتقليد الأعمى لهم واعتماد كل ما يكتبونه ويقولونه ضدنا، ومتعتنا بإذلالهم ذلك لنا، وتلذذنا بشتمهم لتاريخنا ودِيننا ولغتنا وأصالتنا»[٢].

يتضح من خلال ما سبق أن مولود قاسم وبأسلوبه الاستفزازي المعهود، يربط ظاهرة المركوبية بمسألة الشرف مباشرة، ويرى أنها مسألة شخصية قبل أن تكون جماعية وله في ذلك قول: «إن من لا يغار في أسرته على الشرف لا يمكن أن يغار على شرف أمته، بل يزيد الشعب في غمته، وهل لمن ليس له نحو شرفه ذمة أن تكون له إزاء الوطن غيرة وهمة، وأن يضع شرف الأمة في القمة؟»[٣]

من خلال هذا القول يرى مولود قاسم أن الذي لا يغار على شيء يخصه شخصيا، فإنه لا يغار على شيء يخص وطنه ومجتمعه، سواء في دينه أو مبادئه أو تراثه وقيمه، فالمركوبية تأتي من ضياع الأنفة والشجاعة والكرامة.

الثالوث الجهنمي: يتكون من ثلاثة مصطلحات هي (**الفسخ، المسخ، النسخ**) وهذا الثالوث هو ما عانته الأمة الإسلامية من خدش وإفساد بواسطة الغزو والاستدمار في كل مجالات الحياة، حيث يقول: «لا غرابة عندما ترون البلدان التي لم تتعرض أبدا لذاك الثالوث الجهنمي

---

(١) مولود قاسم: «عن مولود قاسم نايت بلقاسم رمز كفاح أمة» جمع أحمد بن نعمان ص ١١١.
(٢) المرجع نفسه، ص ١١٢.
(٣) أصالية أم انفصالية، ج١، ص ٤٢-٤٣.

الذي تعرضنا له نحن، وهو الفسخ والمسخ والنسخ ومع ذلك تحرص كل الحرص على تعزيز هذه الأصالة عندها، فأحرى وأولى نحن إذن»[١].

هذه المصطلحات اللغوية لها دلالات تنطبق على واقع الناس المجسد في واقعهم الحضاري، لذلك لم يستخدمها على سبيل الجناس، كما يظهر للوهلة الأولى للقارئ الجديد لمولود قاسم، بل استخدمها لعمقها في دلالاتها، والمعبرة عن حال الأمة في سيرها نحو اعتناق شخصية الآخر، ووفق هذه المراحل التي وضع لها مولود قاسم هذه المصطلحات وعلى الترتيب السالف الذكر.

هذا بالنسبة لعوائق الأصالة أي الموجهات السلبية للهوية.

مقومات الأصالة

الإنية: تعد الإنية مرحلة أولى من الإيمان والعمل، تتحد مع مرحلة أخرى تأتي لتُكوِن بعد ذلك ما يسمى بالأصالة أو الأصالية، فنجد مولود قاسم عندما يتكلم عن هذه الإنية يقارنها بفكرة الجوانية عند أستاذه عثمان أمين ويقارب بين الفكرتين فيقول «وقد تعددت مؤلفات عثمان أمين كتعبير عن اهتماماته المتنوعة الدائرة كلها حول محور واحد، هذه الجوانية التي يمكن أن تلخص في الإنية، أو المطابقة التامة لجذور الأنا والمحافظة على جميع عناصر الذاتية»[٢].

هذه الفكرة أو هذه الإنية اهتم بها مولود قاسم كثيرا، فعنون كلمته الاختتامية للملتقى الثامن للفكر الإسلامي في بجاية ١٩٧٤م بعنوان **إنيتنا أو منيتنا** وكذلك كتاب بعنوان: **«إنية وأصالة»**.

فكلمة **إنية**[٣] مشتقة من «إن» والتي تدل على الحال الذي يكون عليها المتكلم أو من

---

(١) مولود قاسم: «عن مولود قاسم نايت بلقاسم رمز كفاح أمة» جمع أحمد بن نعمان، ص١٦٤.

(٢) مولود قاسم :مات عثمان أمين فيلسوف الجوانية ومفند الخواجات، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر عدد٦٠-٦١، ١٩٧٨، ص٥.

(٣) بالرجوع إلى كتابات مولود قاسم نجده يفضل مصطلح «الإنية» بدلا من «الهوية» لأن مصطلح الهوية مستورد غير - أصيل، يقول: «نفضل كلمة الإنية هذه على كلمة «الهوية» التي هي ترجمة حرفية لكلمة identité وهي تركيب مزجي من اللاتينية المحدثة من كلمتين: idem، بمعنى نفس الشيء، هو هو، و entitas=

الضمير «أنا» الدال على المتحدث، وبذلك تكون كلمة إنية بديلا عن كلمة هوية التي تأتي من لفظ «هو» وكأن مولود قاسم لم يرد أن يطلق هذه الفكرة المنسوبة إلى ضمير الغائب «هو» بل ينسبها إلى ضمير المتكلم حتى يكون لها وقع أكبر على النفس، وتنبيه أقوى لإيقاظ الإحساس بالوعي بالذات والشخصية[١]

ويبين مولود قاسم مفهوم الإنية بطريقة فلسفية سار فيها على نهج «ابن سينا» فيقول: «أقصد بالإنية ذلك الوعي الحاد بالذاتية والشخصية وهي التي تكلم عنها ابن سينا[٢]. فالإنية إذا هي وعي بالذات ومحتويات الباطن وشعور بالشخصية ومكوناتها، وهي كذلك إحساس بالنفس وضرورة البحث لها عن عزة وكرامة واستمرارية.

فالإنسان ليس فردا معلقا في الهواء يقول أنتمي إلى الإنسانية فقط، بل هو كائن مرتبط بجماعة بشرية، يحمل تراثها وآمالها وآلامها وبذلك فقط يثبت وجوده كإنسان مفكر يعبر عن ذاته لا كإنسان، وإنما ككيان حضاري يحمل تاريخا وأفكارا.

مفكرنا يوجه خطابا إلى أمته الإسلامية عموما ووطنه الجزائر خاصة فيقول: «... وإذا ما أدى كل واحد منا واجبه في هذا المجال، في أوساطه، ولدى أولاده أولا من المحافظة على عناصر هذه الشخصية ومكونات هذه الذاتية، هذه الإنية وعملنا في الوقت نفسه على اللحاق بالعصر مع المحافظة على أنفسنا، هكذا أرى الدور الكبير للتربية في كل سياسة تنموية، وهذا ما ألح عليه كل الإلحاح على الأقل من وجهة نظري فيما يخص الجزائر[٣]. وفيما يلي تفصيل لمكونات الإنية حسب فيلسوفنا.

أ- الدين الإسلامي:

لم ينظر مولود قاسم للدين الإسلامي على أنه عامل من عوامل صقل الشخصية وتشكيل

= بمعنى الكيان، فكلمة identité معناها نفس الكيان، نفس الموجود، نفسه أي عينه، ومن هنا نفضل على كلمة الهوية كلمة الإنية، من إني، المؤكدة للذات، المثبتة للشخصية والمأخوذة من «الإشارات والتنبيهات» لذلك القمقام الكبير، الفيلسوف الحسين أبي علي بن سينا.)مولود قاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل ١٨١١، ج٢، مصدر سابق، ص ٣٦٦، ومن هنا سوف نعتمد مصطلح الإنية لنكون قريبين من روح النص عند مولود قاسم.

(١) بوعلام جوهري:البعد الدعوي في أعمال مولود قاسم نايت بلقاسم، ص١٢٤.

(٢) مولود قاسم :إنية وأصالة ص١٠٣

(٣) المصدر نفسه :ص٦١٤.

الكيان التاريخي للأمة الجزائرية فحسب، بل نظر إلى الإسلام باعتباره المعين الذي ظل يمثل فاعلية التجدد الروحي، واكسير المقاومة والإصرار على تحقيق البقاء والرقي[١]. لذلك ألح مولود قاسم على زرع الروح الإسلامية بمختلف الوسائل مؤكدا في ذلك على حرصه بإعطاء الإسلام المكانة اللائقة به، ويؤكد أن الإسلام دين ودولة، ونظام اجتماعي كامل صالح لكل زمان ومكان، مثلما هو حقيقة الأمة والأصالة المميزة لها، وهو في نفس الوقت من يطبع ثقافة الأمة وآدابها وتقاليدها وعلومها ونظرتها للكون كما أن الإسلام حسب مفكرنا هو العامل الحاسم في كفاح شعبنا، هذا الشعب الذي حفظ له الإسلام وحدته واستمراره أمام محاولات الفسخ[٢].

كما أكد مولود قاسم أن الإسلام كما كان بالأمس حاميا للشخصية الوطنية من كل فسخ ومسخ، فهو اليوم بعد الاستقلال يمثل بعث الشخصية في أوساط العالم وحتى لا نكون بتعبيره مثل بعض البلدان الإسلامية التي كافحت بالإسلام ولما انتصرت تنكرت له[٣].

وعليه فإن الإسلام في الجزائر لم يكن مجرد استمرار تاريخي، ولكنه الشعور القوي الراسخ لدى كل جزائري بمبادئ هذا الدين، ويمكن القول أن مولود قاسم كان يؤمن الإيمان القاطع بأن الإسلام الذي أسهم في الصمود وانتزاع النصر من الغازي المحتل، هو يمتلك القابلية الكافية لأن يوجه الأمة نحو البناء المدني والتطور العصري المتزن في الأخذ والترك، لأن الإسلام دين ودولة، كما أنه دين العمل والجهاد والقوة، وليس دين الاستكانة والاتكال .لقد عاش مولود قاسم في فترة تعج بالصراع الفكري والأيديولوجي، لكنه ظل في هذا الصراع منحازا إلى الإسلام مدركا الأهمية التي يمتلكها الدين الإسلامي في بناء الأمم، وتشييد صرح النهضة، وتسليح الهوية بالقيم الروحية.

ب- اللغة العربية:

احتلت اللغة العربية في فكر مولود قاسم موقعا مركزيا بالنظر إلى صلتها بالإنية والتجذر، ولا سيما أن العربية هي لغة الدين الإسلامي، الإطار الروحي الذي تبلور فيه الكيان البربري

(١) انظر عبد اللطيف عباده:بعض ومواقف الفكر الجزائري المعاصر من قضية الإسلام والتنمية، مجلة الثقافة، السنة ١٦، عدد٩٥، ١٩٨٦، ص١٦٣-١٦٥.

(٢) مولود قاسم: أصالية أم انفصالية، ص ١٠٥.

(٣) مولود قاسم :إنية وأصالة، ص ٣٥٠-٣٥١

والغربي بشمال إفريقيا واكتسب خصوصياته الحضارية والتاريخية التي بات يعرف بها وباتت تميزه عن غيره فقد اقترنت اللغة العربية بالوعي، وكانت الحافظة لهذا الوعي داخل المجتمع الجزائري كلما واجهته ظروف تهدد كيانه[١]، و بهذا أصبحت اللغة جزءا لا يتجزأ من كيان الشخصية الجزائرية، هذا حسب مولود قاسم[٢]، الذي يرى أن لسان الجزائر هو لسان انتمائها الحضاري، لذلك يصارع بقوة من أجل إبراز مكانة اللغة العربية.

من خلال تتبع خطابات مولود قاسم نجده وكما أسلفنا الذكر تأثره بفيخته يتبنى الرؤية التي نظر فيخته إلى اللغة الألمانية وشخصيتها عندما استهدفها الغزاة وحاولوا إجبارهم عن التخلي عن هذه المقومات لذلك نجد مولود قاسم يردد ما كان قد قرره فيخته بشأن اللغة الألمانية، لأنه وجد فيه الحجة التي كافح بها فيخته من لغته حيال أعمال الفسخ، ووسيلة يدافع بها هو الآخر عن لغته التي رآها تلقى الجمود على أيدي هؤلاء المستغربين. فاللغة هي الضمير الجمعي للأمة والضمان الذي لا يوازيه زمام في حفظ الهوية وصون مقوماتها، ولحساسية هذا المقوم الأساسي كان هناك ما سمي بمشروع التعريب وتشكيل المجلس الاستشاري للتعريب الذي عقد أول ندوة له في ١٩٧٥فقال الرئيس هواري بومدين آنذاك: «إن التعريب في بلادنا جزء من حركة التاريخ وليس في استطاعة أحد أن يوقف حركة التاريخ وعندما نقول بأن اللغة جزء من الحركة الثورية الشاملة، فإن في حرب التحرير دروسا لا يمكن أن ننساها أبدا، حيث كانت العربية في وجدان كل جزائري... وأذكر أننا في الاجتماعات التي كانت تعقد أثناء حرب التحرير كنا نحاول التحدث باللغة العربية كجزء من عملية الكفاح ضد الاستعمار، وكلكم يعرف غيرتي شخصيا على لغتنا القومية التي أستعملها خاصة أمام الأجانب لأن هذا يمثل عندي مظهرا من مظاهر العزة والكرامة[٣].

وهكذا يتضح أن اللغة العربية تعتبر من أهم العوامل في إرساء الوحدة الوطنية بين عناصر الشعب الواحد أو بين شعوب الأمة الواحدة وتقوية أواصرها على التآخي والتعاون ودفعها للسير قدما في مضمار التطور والالتحاق بقوافل الحضارة[٤].

---

(١) أحمد بن نعمان :فرنسا والأطروحة البربرية في الجزائر، منشورات دحلب، الجزائر، ص ٥٩.

(٢) مولود قاسم نايت بلقاسم، «دور اللغة في الحفاظ على الشخصية الوطنية» مجلة الأصالة، عدد ١٧، ص٧١.

(٣) انظر: عبد الرحمن سلامة، التعريب في الجزائر من خلال النصوص الرسمية، مكتبة الشعب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (دط)، ١٩٨١، ص ٧-٩.

(٤) نفس المرجع، ص ١٣.

فعمل مولود قاسم على بعث اللغة العربية وتشجيعه لها هو إيمانه بأن مستقبل الجزائر كدولة عربية تقدمي مناضلة يتوقف بالدرجة الأولى على مدى نجاحها في تحقيق عملية التعريب، والثورة الثقافي التي تعني التخلص من التبعية الثقافية واسترجاع مقومات الشخصية الوطنية القومية التي سعى الاستدمار الفرنسي طيلة تواجده إلى محوها وتشويهها لكن المسألة لم تعد مجرد إعادة الاعتبار للغة العربية، أو إحلال لغة مكان أخرى، و إنما هي العمل على جعل اللغة العربية لغة العلوم والتكنولوجيا، وقادرة على التعبير عن المنجزات والمصطلحات الحضارية التي تمر بها البلاد، وتنمو بسرعة مدهشة. وفي هذا الصدد نجد مفكرنا يعيب على من قال أن العربية ليست قادرة على التعبير عن العلوم الحديثة، ويبين أن اللغة العربية كانت اللغة التي تحدث بها وكتب بها علماء العرب عندما كانت أوروبا تعيش الظلام، ومنهم الفارابي وابن رشد والخوارزمي وابن الهيثم، إضافة إلى هذا أن علم الجبر انتقل إليهم محافظا على اسمه L'Algèbre.(١)

ت:التاريخ المشترك: من خلال تتبع أعمال مولود قاسم الفكرية نجد أنه ركز على التاريخ وأعطاه أهمية كبرى من نصيب أعماله من خلال المقالات التي كان يتدخل بها أثناء انعقاد مؤتمرات الفكر الإسلامي، وتخصيص جزء كبير من الوقت للتاريخ، وكذلك نستشف اهتمامه بالتاريخ من خلال بعض مقالاته في كتابيه «إنية وأصالة» و«أصالية أم انفصالية؟» ومن جملة كتبه خص التاريخ بكتابين هما «ردود الفعل الأولية على غرة أول نوفمبر» و«شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل ١٨٣٠» هذه المكانة التي يحتلها التاريخ عند مولود قاسم جعته يربط بين الغفلة عن التاريخ وهوان الأمم، حيث يقول «إن جميع الحضارات وسائر الأمم انتهت بالانهيار لاستخفافها بتجارب التاريخ(٢)، لذلك كان الاعتزاز بالتاريخ بمثابة الاعتزاز بالإنية، لأن الاستدمار الفرنسي بعد أن احتل الأرض حاول تشويه تاريخ الجزائريين(٣).

ويبدو أن استثارة مولود قاسم لقضايا التاريخ هو ربط النشء بالجذور، لأن الانطلاقة نحو المستقبل لا تكون إلا بتحديد المعالم السوية وانطلاقا من حقائق موضوعية وحضارية يمليها

(١) مولود قاسم: «أصالتنا تعني لا إغلاق الأبواب والنوافذ ولا إزاحة السقوف والرفوف» الملتقى الخامس للفكر الإسلامي، وهران١٩٧١، ص١٠.

(٢) قاسم نايت بلقاسم، إنية وأصالة، ص ١٤٤.

(٣) مولود قاسم نايت بلقاسم، »مفاهيم وصيغ خاطئة عن تاريخنا» مجلة الثقافة، السنة السادسة عشر، عدد٩٤، أوت ١٩٨٦ م، ص ١٨.

الواقع التاريخي وكانت عادته أن يشيد بالتاريخ في كل المحافل وضرورة تبجيله وذلك لتأثره بالألمان أمثال شوبنهور، ويعتبره الواصل بين الأحفاد والأجداد فيقول: «فهو بالنسبة للأمم كالعقل بالنسبة للأفراد، كما يقول شوبنهور، ويحب كالإنجيل ويلقن للصغار ويدرس للكبار بنفس التقديس والإجلال [على لسان فيخته] فيكون كالاسمنت الروحي لتقوية الأمة[١].

من هنا كان تركيز مولود قاسم على التاريخ وجعله محور فلسفته والمنبع الذي يستلهم منه أفكاره فيقول مرة أخرى في أهمية التاريخ: «فالتاريخ بحفظه لكل حلقة من حلقات سلسلة الأجداد والأحفاد يؤكد عناصر الشخصية الأصلية ويضمن لها وجودا متميزا أو تعريفا بين الأمم، فهو الأهم في كل ثقافة، والبداية والنهاية لغرس الاعتزاز بالنفس في الشباب، وتقوية الاعتزاز بالوطن، والتشرف بالإنية الوطنية، لأمة كاملة مجيدة، ألا وهي الأمة الجزائرية العتيدة»[٢].

ث- حب الوطن القومية:

في نهاية كتابه شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية ١٨٣٠، يؤكد مولود قاسم على عناصر يراها متكاملة لتشكيل الهوية الوطنية فيقول: «ذلك أن التاريخ أحد العناصر الأساسية لشخصية أي بلد، ومن أهم مكونات ذاتية أية أمة من الأمم، والعقد الذي تنسلك فيه جميع حلقات المقومات الثلاث الأخرى لإنيتها(هويتها) وأصالتها التي هي الدين واللغة وحب الوطن، فالأمة دون هذه المقومات الأربع لا شيء[٣]، لذلك يجب أن نقف عند هذه النقطة الأخيرة بعد أن بينا النقاط الثلاث الأولى، وهي حب الوطن. فماذا أراد بها مفكرنا؟

يستشهد مولود قاسم بأهمية الوطن الملازم للشخصية والإنية الجزائرية بما ذهب إليه ابن باديس عندما قال: «الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء...إننا نحب الإنسانية ونعتبرها كلا، ونحب وطننا ونعتبره منها جزءا، إننا نحب من يحب وطننا ويخدمه ونبغض من يبغضه ويظلمه، فلهذا نبذل غاية الجهد في خدمة وطننا الجزائر[٤].

---

(١) مولود قاسم نايت بلقاسم، ردود الفعل الأولية على غرة أول نوفمبر، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة. ط١، ١٩٨٤، ص١١.

(٢) نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل ١٨٣٠، ج١، ص ٢٧.

(٣) المصدرنفسه ص٣٦٦.

(٤) تاحي اسماعيل، مولود قاسم نايت بلقاسم. نضاله السياسي ونظرته للهوية الجزائرية، مرجع سابق١٤٩.

مولود قاسم بذل غاية الجهد في خدمة وطنه، ودليل ذلك هو تركه لرسالة الدكتوراه أكثر من مرة عندما يناديه واجب الوطن، فآثر وطنه على نفسه، وألزم نفسه بخدمة وطنه والإسلام والعروبة عموما، والوطنية لا تعني الدفاع عن الوطن فقط إذا كان خاضعا للسيطرة، بل يتجلى حب الوطن في تحريره من الفقر والجهل والاستغلال، فيتحول حب الوطن من دفع العدو إلى المساهمة في بنائه، وهذا ما يضمن الخلود للوطن.

ومن معرفة مقومات الأصالة التي هي الإنية بما تعنيه من لغة ودين نحاول أن نعرف ما الذي يقصده مولود قاسم بالأصالة؟

يقول مولود قاسم:«أما الأصالة فما يدل عليها اسمها، هي شعور الإنسان أو اقتناعه العميق بانتسابه إلى مجموعة بشرية، هي أمته، وإلى أديم هي بلاده... وهذه الأصالة تفترض على الإنسان أن يكون هو هو تستلزم في الوقت نفسه خلق سياج، والمشاركة في الوجود مساهما في المسيرة الإنسانية ويتمثل من الغير ما ينسجم وتكوينه ليبقى عضوا في مجموعة ومتميزا عنها هذه هي الأصالة كما أتصورها»[١].

الأصالة بهذا المعنى هي ضد الجمود المنغلق المتقوقع الخامد، كما أنها ضد المنسلخ والمتسخ بكل دخيل ووافد، فالأصالة تضمن للمجتمع المحافظة والمواكبة في الوقت نفسه. الأصالة عند مولود قاسم تمثل الوسطية بين فئتين متطرفتين، الأولى تطالب بالمحافظة على التقاليد ورفض الوافد مهما كان نوعه، وفريق آخر ينادي بالتقدمية والتطور والتفتح دون قيود.[٢]

لكن وسطية مولود قاسم هي رفض الفريقين فيقول عن ذلك: «فنحن لسنا مع هؤلاء ولا مع أولئك، بل ننادي بالإنية والأصالة، وأن شئتم سميتموها الأصالية التي تتضمن بالضرورة كلا من الجذور والفروع، كشجرة أصلها ثابت وفروعها في السماء، تقيها جذورها من الاقتلاع، وتجلب إليها شرايينها من الأعماق عنصر الحياة .. هكذا نتصور الإنية والأصالة اللتين تتضمنان بالضرورة التفتح والعالمية[٣].

(١) مولود قاسم نايت بلقاسم: أصالية أم انفصالية؟ ج ١، مصدر سابق، ص ٩١.
(٢) مولود قاسم نايت بلقاسم: إنية وأصالة، ص٥٤٤.
(٣) مولود قاسم نايت بلقاسم: أصالية أم انفصالية؟ ج ١، ص٩٢.

فالأصالة بهذا المعنى هي حضور في العصر بحصول التألق فيما تألق فيه الغير، مع المحافظة على الموروث الحضاري الذاتي الذي له نفس عنوان صرح الأسلاف والأجداد، فنقول الحضارة الإسلامية في العصر الحديث، بشرط أن تكون تواصل مع الأجداد الحضارة الإسلامية في العصر الأموي، أو العباسي أو المملوكي، أو الفاطمي، وعملية مواصلة لطريقهم الحضاري فالأصالة هي أخذ من الماضي والحاضر بكيل ذكي يتضمن الوفاء للأسلاف ويشرفهم، فهي تجمع القديم بالجديد وتصقل الحديث بالقديم الموروث وفي ذلك يقول مفكرنا: «إن مبدأنا معروف جدا، وقد أعربنا عنه في عدة مناسبات وهو يتمثل في التوفيق بين القيم الحقيقية ضرورات العصر، وهو ما أسميناه **«الأصالة تتضمن العصرانية»**.»[١]

وأحيانا يتطرق مولود قاسم إلى كلمة هي «الأصالية» وقد جعلها تعني التضحية من أجل الأصالة، وبهذا فإن الأصالة فكرة ومنهج وفلسفة، أما الأصالية فهي عمل بهذه الفلسفة وبهذا المنهج[٢]، ثم يشرح هذه الأصالية في موضع آخر فيقول: «وقد ذكرنا في غير مرة أن الأصالة هي «أن يكون الإنسان ابن عصره مع البقاء على أديم مصره ودون أن يصبح نسخة غيره والدعوة إلى هذه الأصالة والإيمان بها والعمل لها، لهو الأصالية التي هي عكس الانفصالية التي يدعو لها الكثير في عالم الإسلام اليوم»[٣]. أما التعريف الذي يفي بمعنى الأصالة كما يريده مولود قاسم فهو تعريف يجمع بين المحافظة على الأصل والمواكبة مع الفصل، مع التميز والتفرد بطابع حضاري فريد من نوعه ينبئ مباشرة عن عنوان الحضارة المتوارثة، حيث يظهر تألقها في أحلى ثوب بين حضارات الأمم، فلا تألق إلا بهذه الأصالة إذ يقول:

«إن أصالة الأمم هي الحصانة، ملتزمة في الأخذ والترك الرصانة، فالتقليد المخرب ليس التقدم، كما أن الجمود عين التردم، فالأصالة هي الماضي والعصرانية، وتلك هي فلسفة العمرانية فالأصالة الجمع، وهو عين الصواب، وعن تحدي العصر صحيح الجواب، ومن هنا قلنا أصالة وأصالية وضد كل فصل وانفصالية».[٤]

ولأجل ذلك كان مولود قاسم يطوع ملتقيات الفكر الإسلامي لتحقيق أهدافه من خلال

---

(١) مولود قاسم نايت بلقاسم: أصالية أم انفصالية؟ ج٢، ص١٥٢.
(٢) انظر: بوعلام جوهري، المرجع السابق، ص١١٥.
(٣) مولود قاسم نايت بلقاسم: أصالية أم انفصالية؟ ج٢، ص١٢-١٣.
(٤) المصدر نفسه، ص٢١٤.

هذه الفكرة والفلسفة ويختصر المبتغى منها بقوله: «هذا هو المقصود بها هو أن نعلم شبابنا أن يحرك على أن يكون ابن عصره مع البقاء على أديم مصره دون أن يصبح نسخة غيره»[١] ثم إننا نجد مولود قاسم يشرح تعريفه لهذه الأصالة المتضمن ثلاث جمل أساسية فيقول: «**لم يكوم الإنسان ابن عصره...**: أي يأخذ بآخر اكتشافات العلم، بآخر إبداعات الفن ومختلف أنواع النشاط البشري، وفي نفس الوقت يحافظ على عناصر شخصيته بجذوره، ملتصقا بأعماق أعماق عروقه[٢]. فالحكمة ضالة المسلم فأنى وجدها فهو أولى بها، مع شرط عدم مخالفة شرع الله، وقد استقى مولود قاسم هذا المفهوم من الإمام عبد الحميد بن باديس، حيث تضمنت مقدمة كتابه «**أصالية لم انفصالية؟ ج٢**» ونص الفقرة الذي اعتمده مولود قاسم كأصل فكري، أخذه عن إمامه هو كالتالي: «لا يمكن أن ينفع أي أحد نفسه ولا أمته والبشرية ما دام مشتتا، وإنما ينفع المجتمع الإنساني ويؤثر في سيره من كان من الشعوب قد شعر بنفسه، فنظر إلى ماضيه وحاله، ثم مد يده لبناء مستقبله، يتناول من زمنه وأمم عصره ما يصلح لبنائه، معرضا عما لا حاجة له به، أو ما لا يناسب شكل بنائه الذي وضعه على مقتضى ذوقه ومصلحته[٣].

وعليه فإن مولود قاسم استقى بعضا من أفكار عبد الحميد بن باديس ثم حاول التأسيس لها بأفكار فلسفية سماها بالأصالة والأصالية والإنية، وحاول تجسيدها كمشروع حضاري، لكن ما ينفرد به مولود قاسم هو الطرح الجديد الذي قولب فيه أفكاره، وما يؤكد هذا ما يشهد له به فيلسوف الجوانية «عثمان أمين» حيث يقول مولود قاسم في هذه الشهادة: «في النسخة التي أهدانا إياها الدكتور عثمان أمين رحمه - الله من كتابه الجوانية أثناء الملتقى الخامس للفكر الإسلامي» وهران ١٩٧١م، كتب رحمه الله: -

إلى فيلسوف الإنية والأصالة... إلخ[٤]، وهذه شهادة يفخر ويعتز بها مولود قاسم، بالإضافة إلى شهادة عبد الرزاق قسوم في قوله: «إن الإنية والأصالة إبداع فكري وايديولوجي انفرد به في العصر الحديث فيما أعلم مولود قاسم، وأضحي اليوم مذهبا يمكن وصفه بالمذهب «الإنوي «و«الأصالوي» إن صح الاشتقاق.[٥] كما يوضح مولود قاسم نفسه أنه صاحب الفكرة فيقول

(١) المصدر نفسه، ص٢١٤.
(٢) مولود قاسم :أصالية أم انفصالية؟ ج٢، ص ٢٠٣.
(٣) المصدرنفسه، ص ٩.
(٤) المصدرنفسه، ص ٣٢٩.
(٥) عبد الرزاق قسوم:عن مولود قاسم نايت بلقاسم رمز كفاح أمة، ص ٢٨١.

في إحدى كتاباته: «هذا التجديد أو الأخذ بإيجابيات العصر، أو المعاصرة السليمة، هو ما نقصد به الأصالة، ولولا استنكافنا عن انشاء صيغة مذهبية جديدة وزيادة ياء وهاء جديدتين لسمينا اتجاهنا هذا **بالأصالية**».[١]

علاقة الإنية بالأصالة والأصالية:

إن مفهوم الإنية قد يكون في بعض المقالات التي كتبها مولود قاسم متداخلا مع مفهوم الأصالة، لكن الإنية هي شعور المجتمع بشخصيته وبطاقة هويته، وبالتالي محاولة الحفاظ عليها بكل ما يملك من شعور وقوة، أما الأصالة فهي تتعدى حدود هذا الشعور أو هذه الإنية إلى العمل من أجل مواكبة العصر بالتمسك بالإنية التي تمثل الماضي والتراث والتمسك بالمستحدث من علم وتجارب الغير لخلق تفاعل بين الماضي والحاضر. فالأصالة تتضمن الإنية، لأن الأصالة تتكون من تفاعل عاملين، أولهما الماضي وثانيهما الحاضر، أما الإنية فإنها تمثل إلى حد ما التمسك بهذا الماضي والاعتزاز به، ولهذا نجد مولود قاسم يذكر في الكثير من خطاباته كلمة الإنية ثم يردفها بالأصالة، مثلما نجده في عنوان كتابه «إنية وأصالة» أما الأصالية فهي العمل من أجل الأصالة، أي أن العمل والتضحية من أجل الأصالة هو الأصالية، وما تجدر الإشارة إليه أن الإنية هي شعور وحفاظ على الشخصية حتى وأن انعدم مشروع حضاري الذي هو الأصالة، وكذلك الأصالية تحتوي أيضا الإنية التي يجب استغلالها لعنصر في مشروع الأصالة، كما أن الإنية لا يمكن لها أن تغيب عن حياة الأمة.[٢]

كما حدث ذلك مع الأمة الجزائرية لما كانت تحت الاستدمار فكانت تعيش بإنيتها رغم غياب مشروع حضاري وفي ذلك يقول مولود قاسم: «لقد كنا في العهد الاستعماري معلقين في الهواء بين عالمين، منزوعة عنا جنسيتنا الجزائرية، وغير معترف بنا ولا معاملين كفرنسيين، ومع ذلك كنا أكثر ما نكون اعتزازا بذاتيتنا، وتعلقا بمقومات شخصيتنا، من دين ولغة وتقاليد، وبعدا عن كل ما يمس أو ينال من قدسيتنا»[٣].

---

(١) مولود قاسم :إنية وأصالة، ص ١٧.

(٢) انظر بوعلام جوهري، البعد الدعوي في أعمال مولود قاسم نايت بلقاسم، مرجع سابق، ص ١٢١-١٢٨.

(٣) مولود قاسم نايت بلقاسم، «الإنية والأصالة» محاضرات الملتقى الرابع للتعرف على الفكر الإسلامي وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، أوت ١٩٧٠ م، ص ١٤.

خاتمة

مما سبق يمكننا القول أن مفهوم «الأصالة والمعاصرة» يتسم عند أستاذنا مولود قاسم بالمرونة والشمولية وبُعد النظر، بحيث ينتفي عنده ذلك الفصل التعسفي بين المفهومين «الأصالة والمعاصرة» فهو ينظر إلى العلاقة التي تربط بين المفهومين كجدلية أساسية لا انفصام لها، وقد حدد ذلك في سياق تعليقه على عنوان كتابه «إنية وأصالة» ٦٥٠ صفحة، حيث قال بتواضعه النادر: « كنا نوينا أن نعنون هذه الوريقات بعنوان النقطة الخامسة من جدول أعمال الملتقى الثامن للفكر الإسلامي في بجاية ربيع ١٩٧٤ هكذا «**الإنية والأصالة مع التفتح والعالمية**» ثم عدلنا عن ذلك لوضوح الرؤية الآن لدى الكثير أن الأصالة تتضمن بحكم الحد والمضمون التفتح والعالمية والتطور والتقدم، إذ أن الأصالة ليست الانغلاق والتجميد بل بقاء الإنسان هو مع الاستفادة من احتكامه بالغير، ومسايرته الركب الإنساني فيما ينسجم مع عناصر ذاتيته، ويتناغم مع مكونات شخصيته، إذ بتميزه ذلك فقط بكونه عنصرا يقدم مساهماته للفكر الإنساني والحضارة العالمية وهذه الرؤية هي التي جرَّت على الأستاذ الراحل العديد من الهجمات والعداوات ذات الأحكام المسبقة والنظرة الأحادية السطحية الضيقة، سواء كان ذلك من دعاة التمسك المتزمت والمنغلق بتراثنا أو من غلاة الفرانكفونية ممن ذابت وانمحت شخصيتهم الذاتية استلابا أعمى في ذوات الآخرين.

لقد ارتبط اسم الأستاذ «**مولود قاسم نايت بلقاسم**» بالعديد من المنجزات والمواقف الوطنية «البطولية» المشرفة، كما حث رحمه الله على الاجتهاد واتخاذ المبادرة والاعتماد على العقل والتأمل والنقد البناء وكان يرد بشدة على الأخطاء ويحارب الانحرافات والجهل والتعصب، واعتنى عناية خاصة **بالتاريخ** واعتبره العنصر الأساسي في إعداد الشخصية الوطنية كما انشغل أيضا باللغة العربية واعتبرها رمز وجود الأمة وسر وحدتها وإذا ضعفت أو أهملت تحولت الأمة إلى مجرد شتات.

كذلك لا تعني أصالة الثقافة عنده إهمال ثقافة الآخر وعدم الاطلاع عليها والإفادة منها، كما لا تعني ثقافة دينية بالمعنى الكهنوتي، وأيضاً ليست نشر العلوم الشرعية التخصصية التي تدرس في المعاهد كما هي عليه، بل تعني العودة إلى الأصالة منهجاً وقيماً ومصدرا في تنمية ثقافة المجتمع أيا كان اتجاهها أدبا أو فكرا أو فنا، وذلك من خلال صيغة مركبة متحركة متطورة

لا تتنكر للأمس الغابر ولا تغمض العين عن متطلبات اليوم والغد، من هذا المنطلق نستطيع أن نقدر للتراث قيمته ودوره في تكويننا النفسي والاجتماعي ونأخذ منه ما تقتضيه حاجتنا اليوم، وأن نقبل على الثقافة المعاصرة فنقتبس من ثقافات الآخرين ما تحتاج إليه ثقافتنا لتحقق معاصرتها ومواكبة الثقافات الأخرى، ولاسيما في ميدان العلوم والتقنية والعلوم المستحدثة في السنوات الخمسين الأخيرة، فالمواءمة بين الموروث والجديد يحفظ للأمة هويتها ويجدد طاقتها على النماء والتطور.

وعموما جمع مولود قاسم في مقارباته الفكرية وخطابه السياسي بين التعلق بالإنية والأصالة وضرورة التطور والتفتح على ما يجري في العالم وبذلك حاول التوفيق بين الثقافة العربية الإسلامية وبين الثقافة الثورية التطورية، وبذلك يكون مولود قاسم قد أعطى الأصالة مفهوماً متحركا أو ديناميكيا، فالسكوت في رأيه موت وفناء والتفتح يبدأ من الأصالة ويعود إليها ليثريها.

المقوم الديني يتقدم غيره من المقومات وبذلك يحتل محورا مركزيا في تصوره للهوية الجزائرية، وتأتي اللغة العربية في المركز الثاني فهي في نظره سجل التراث الحضاري للشعوب الإسلامية باختلاف لغاتها ولهجاتها، ورغم أنه شديد التأثر بالقومية الألمانية التي تعتمد على اللغة في المقام الأول إلا أن مولود قاسم يربط دائماً اللغة العربية بالدين الإسلامي وهي بعد العقيدة الرابطة التي تجمع وتوحد الجزائريين، أما المقوم التاريخي فيرجع به إلى الأصول والجذور دون التوقف عند مرحلة حاسمة وفاصلة من تاريخ الجزائر وهو الفتح الإسلامي كل ذلك لتحقيق العز التاريخي عبر القرون بلا انقطاع ولا قطيعه مع أية مرحلة، أما مقوم الوطن فيراه مولود قاسم ملازما لمقوم الدين الإسلامي الذي حفظ للشعب الجزائري وحدته الوطنية عبر العصور.

عاش مولود قاسم يفكر ويمارس تفكيره في حياته العملية التي كانت عبارة عن جدل بين مثالية يتوق إليها وواقعية تتطلب نقد الذات والآخر وتجديد الحاضر بالإرادة والهمة لتخليص الجزائريين من التركة الكولونيالية الثقيلة في الأذهان والسلوكيات.